جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

مقياس سوسيولوجيا الرابط الاجتماعي

محاضرتين يقدمها د. سمير قريد أستاذ محاضر-أ-إلى طلبة السنة الثالثة علم اجتماع

- المحاضرة رقم 09: شبكات التواصل الاجتماعي والروابط الاجتماعية

نص المحاضرة

أولا- تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على العلاقات الاجتماعية

بدأت ظاهرة المواقع الاجتماعية في عام 1997، وكان موقع "SixDegrees.com" أول هذه المواقع من خلال اتاحته الفرصة بوضع ملفات شخصية للمستخدمين على الموقع وكذلك إمكانية التعليق على الأخبار الموجودة على الموقع، وتبادل الرسائل مع باقي المشتركين وإذا كان موقع "SixDegrees.com" هو رائد مواقع التواصل الاجتماعي، فيما فتح موقع "MySpace.com" أفاقا واسعة لهذا النوع من المواقع، وقد حقق نجاحا هائلا منذ إنشائه عام 2003، بعد ذلك توالى ظهور مواقع التواصل الاجتماعي، لكن العلامة الفارقة كانت في ظهور موقع FaceBook.com الذي يمكن مستخدميه من تبادل المعلومات فيما بينهم وإتاحة الفرصة أمام الأصدقاء للوصول إلى ملفاتهم الشخصية **(حسني عوض، 2017)**.

تمثل وسائل الاعلام الاجتماعية (Social Media) مواقع تسمح للمستعملين بامتلاك صفحة شخصية، ونشر ما يرغبون من مضامين (صور، وتسجيلات، ونصوص..) وقد تزايد استعمال هذه المواقع بشكل مذهل: فثمة دراسة أعدها " ديوان الاتصالات البريطاني" ت وكد أن نموها السريع وانتشارها الحالي يشيران إلى أنها تقنيات الاتصال السائدة حاليا لكثير من الناس، إلى درجة أن من لا يملك صفحة خاصة يبدو منعزلا عن العالم، وتشير بعض الأرقام إلى أن من بين 50 موقعا الأكثر زيادة نجد 10 مواقع للشبكة الاجتماعية، وبحسب إحصاءات استعمال الإنترنت سنة 2008، فإن موقع فايسبوك صنف في المرتبة

الخامسة عالميا، وفي سنة 2010، بلغ عدد مستعمليه 500 مليون فرد **(بعزيز إبراهيم، 2011: 178-179)**.

وفي الجزائر يتجاوز عدد مستخدمي الفايسبوك 05 ملايين مستخدم، 81 % منهم شباب، تتنوع استخداماتهم لهذ الشبكة الاجتماعية، وتتنوع طرائق تواصلهم من خلالها وتوحي هذه النسبة المرتفعة قطعا بحالة من الانسحاب الشبابي لهذ الوسيلة الافتراضية لتحقيق التواصل والتفاعل الاجتماعي، وبهذا يتربع الفايسبوك على عرش الشبكات الاجتماعية الأكثر استخداما لدى فئة الشباب الذين وجدوا في جدران الفايسبوك مساحات افتراضية واسعة للتعبير عن آرائهم واتجاهاتهم ومشكلاتهم، من خلال إنشاء صفحات خاصة، أو إنشاء مجموعات لمناقشة مواضيع معينة **(نور الدين مبني، 2014: 77-78)**.

بهذا المعنى، تعتبر شبكات التواصل الاجتماعي من أهم تقنيات الاتصال الحديثة التي عرفها العالم في العقود الأخيرة، والتي أحدثت تغيرات جوهرية شملت جميع مناحي الحياة، إذ عملت هذه الشبكات على إحداث تغيرات جذرية في بنية العلاقات الاجتماعية بين الناس وكيفية تفاعلهم وطرق تواصلهم، الشيء الذي يلزم التفكير بعمق في هذه الشبكات الاجتماعية واستعمالاتها والتعامل معها كمنظومة علائقية، وذلك بالدراسة والبحث في أبعاد ودلالات الخطابات والمحتوى الذي ينتجه ويتداوله رواد شبكات التواصل الاجتماعي الغير خاضع للضبط والمراقبة أو حتى التتبع **(قريد سمير وجاهمي عبد العزيز، 2019: 248)**.

وبالتالي فإن الاغتراب الهوياتي الذي يعيشه الأفراد بفعل تأثير شبكات التواصل الاجتماعي، ليس اغترابا اقتصاديا بالمعنى الماركسي، ولا الاغتراب الثقافي عند **أدورنو** وإنما هو اغتراب سيميائي متعلق بكيفية امتلاك الفاعل الاجتماعي المصادر الرمزية لهويته دون نسخها بسذاجة عن العوالم المطروحة عليه من طرف النسق، فما يتضمنه النسق من منطق أجهزة وأسواق يعمل على قولبة ذات الفاعل وتبضيعها طيعة للانصياع والاستهلاك **(عادل بن الحاج رحومة، 2010: 143-144)**.

ثانيا-الرابط الاجتماعي والمجال العام الافتراضي

ساهمت تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في إعادة إحياء المجال العام لما تمتلكه من إمكانيات تكنولوجية عالية خلقت مجالاً للمناقشة والحوار، ومكنت الأفراد من الوصول إليها، والتكيف مع الثقافة السائدة في المجتمع، وتُؤكد نظرية المجال العام على أن وسائل الإعلام الإلكترونية وبصفة خاصة شبكة

الإنترنت تخلق حالة من الجدل بين الجمهور تُؤثر على الحكومات والجماهير والنخب، ومنذ انتشار الإنترنت والبعض يتحدث عن الديمقراطية الإلكترونية (electronic democracy) والمجال العام الإلكتروني(Electronic Public sphere) ، فالديمقراطية الإلكترونية تعنى استخدام وسائل الاتصال التكنولوجية المُتقدمة في تدعيم العملية الديمقراطية، وأحيانا ما تُستخدم عبارات أُخرى لوصف الديمقراطية الإلكترونية مثل "الديمقراطية الرقمية (Digital Democracy) أو التكنوديمقراط (Technodemocracy)، وما زالت الديمقراطية الإلكترونية محل بحث ونقاش بين الحكومات والجماعات المدنية حول العالم **(مركز هردو لدعم التعبير الرقمي، 2018: 11)**.

وإذا كان الجيل الأول من هذه الشبكات قد سهّل عملية الوصول إلى المعلومات والأخبار، وأتاح للأفراد إمكانيات إنتاج المضامين وبأشكال تعبيرية مختلفة (منتديات حوار، صفحات خاصة، غرف دردشة، مدونات وغيرها)، فإن الجيل الثاني من هذه الشبكات (جيل الفيسبوك وتويتر واليوتيوب تحديدًا) قد أتاح منابر واسعة للنقاش والحوار وتبادل الآراء والأفكار، وحشد الجماهير لمناصرة قضية من القضايا، أو لتكوين رأي عام حول القائم منها، أو لإثارة إشكاليات مجتمعية لم تكن وسائل الإعلام والاتصال التقليدية تعيرها الاهتمام الكافي، أو تتبرَّم منها، أو تمارس الرقابة على من يثيرها ويطرحها للعلن **(يحي اليحياوي، 2015)**.

فالأفراد قد لا يكشفون عن هويتهم الحقيقية داخل هذا المجال باستعارة ألقاب وأسماء وصور غير حقيقية وأحيانا استخدام رموز تدل على الفرح أو الحزن دون وضع البروفيل الحقيقي لصورة الشخص للتعبير عن أفكارهم فتصبح هذه الرموز المستعارة هي التي تؤطر تصورات وأفعال الأفراد المتواصلين وهذا التداول بين الهوية الحقيقية والهوية الافتراضية قد يشكل هويات متعددة قد تكون متناقضة أو مندمجة أو مشتتة، وقد لا تظهر هوية محددة وواضحة، كما أنها قد تؤدي إلى إعادة تشكيل هويات جديدة مطابقة للواقع الافتراضي أو متصارعة معه.

في هذا السياق يشير " **كينستون Kinston** إلى أن هناك حالات تمرد وعصيان وخروج عن الأعراف والقيم تعبر عن أساليب رفض الشباب لثقافة المجتمع والشعور بالاغتراب وحدد **كينستون** صور رفض الهوية الثقافية في بعض السلوكيات منها: إظهار سلوكيات غير مألوفة في ثقافة المجتمع، ورفض النظام القيمي للمجتمع، وعدم الاندماج الاجتماعي، ومن الآثار المترتبة على فقدان الهوية الثقافية ظهور العديد من السلوكيات غير المقبولة لدى الشباب مثل الانسحاب، والبعد عن التعامل مع الجماعة، وعدم المشاركة في المسؤولية الاجتماعية، والتمركز حول الذات، والانغلاق في دائرة الأهداف والمصالح الشخصية **(عزة مصطفى الكحكي، 2012)**.

ومن جهته يؤكد عالم الاجتماع الفرنسي **آلان توران** أنه سرعان ما تشظت الفردية إلى عدة حقائق أظهر لنا أحدُ أجزائها " أنا" هشة، متقلبة، خاضعة لكل الإعلانات والدعوات وصور الثقافة الجماهيرية، بحيث لم يعد الفرد سوى شاشة تعرض عليها رغبات وحاجات وعوالم خيالية مفبركة في مصانع الاتصالات الجديدة. إن الصورة التي غالبا ما استُخدمت للتعرف بالحداثة هي صورة الفرد الذي هذه الذي لم يعد يتحدد بمجموعات انتماء، والذي يزداد ضعفا ولا يجد في ذاته ضمانا لهويته بعد أن بطل كونه مبدأ وحدة وأصبح منقادا لما يفلت من دائرة وعيه **(آلان توران، 2011: 177)**.

يذهب الصادق رابح إلى أن نمط الاتصال القائم على الاستثمار المكثف للإنترنت يدفع الأفراد إلى الإحساس بالانفلات من الواقع وإكراهاته المتعددة، فالفرد يمكنه أن ينقطع مع الواقع الذي يحيط به وينفصل عنه بحثا عن روابط إلكترونية اصطناعية، فالتكنولوجيات الاتصالية الحديثة ساهمت في إعادة صياغة معالم الروابط الاجتماعية كما أن المستخدمين النهائيين لهذه التكنولوجيات قاموا بتبيئتها وتطويعها بما يتناسب وحاجاتهم وسياقاتهم السوسيوثقافية **(الصادق رابح، 2015: 35- 36)**.

لكن على الرغم من الإشكاليات التي تطرحها تكنولوجيات الاتصال الحديثة لاسيما على مستوى تفكيك الروابط الاجتماعية من خلال فصل الفرد عن عالمه المادي، على اعتبار أن الفضاء الإلكتروني وسيطا تقنيا يحيل في أذهاننا معنى الإخفاء وإسقاط إمكانية التفاعل الوجهي (الحضوري)، إلا إنها تتيح لنا إمكانية استثمار مساحة حميمية تكون أداتنا في توصيل المعلومات التي نرى أنها مهمة وقيمة.

ثالثا-تجليات الرابط الاجتماعي عبر شبكات التواصل الاجتماعي

لا شك أن الرابط الاجتماعي عبر شبكات التواصل الاجتماعي يتشكل وفق صورة الإتاحية الرقمية بمواصفات الفضاء السايبري المختلفة، وفي هذا الصدد يرى **إرفينغ غوفمان** أن التفاعلات البشرية تحدث بطريقة التمثل أو التمسرح بإظهار الأدوار الشخصية للهويات المختلفة في الفضاء الافتراضي الالكتروني، وبخاصة في وسائط اتصالية معينة-كشبكات التواصل الاجتماعي-حيث تظهر فسحة أكثر للتمثل والتمسرح الرقمي، فهي وسائل توفر امكان التفاعل النصي وربما الصوتي والرسومي آنيا **(علي محمد رحومة، 2008: 138)**.

وكما يرى نموذج الاستخدامات والإشباعات أن الروابط الاجتماعية التي تتجسد في الفضاء السيبيري هي إشباع لحاجيات ورغبات وميولات نفسية واجتماعية وثقافية يتمثل من خلالها الأفراد في مواقع متعددة من شبكات التواصل الاجتماعي ذات المزايا المتعددة، يتواصل من خلالها مع أفراد ومجموعات حسب

ميولاته وانتماءاته، وتعد أحيانا بمثابة النفور والقفز على الهوية الاجتماعية الحقيقية وأحيانا أخرى امتدادا لها **(تومي فضيلة وبوخبزة نبيلة، 2015: 248)**.

يمكن القول إن التركيز على تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على الرابط الاجتماعي له ما يبرره انطلاقا من المعطيات التالية:

1- **تكوين الصداقات:** لقد نجحت الشبكات الاجتماعية في الجمع بين أصحاب الاهتمامات المشتركة مثل: طلبة اختصاص معين، أساتذة، مهندسين...، وإمكانية تفعيل هذه الصداقات في تأسيس رأس مال اجتماعي يمكن أن يتيح الإمكانية لفرص تتأرجح مداها بين السياق الواقعي والسياق الافتراضي، كما أنها تتيح فرصة للتواصل ليس فقط في إطار السياقات المحلية ولكن على الصعيد الدولي **(ساسي سفيان، 2015: 57-58)**.
2- **عضوية الجماعات:** إن المتأمل في واقع الفايسبوك وانتشاره يدرك من خلال ملاحظاته انتشار الجماعات الفكرية والنقابية التي تخص جماعات محلية، فهناك جماعات لمعظم الاهتمامات والهوايات بل هناك جامعات، معاهد ومدارس أسست جماعات على الفايسبوك، كما أن هناك جماعات مرتبطة بالهيئات الرسمية مثل المديريات والوزارات والهيئات الإدارية، وجماعات لأصحاب المهن وغيرها، والمراد الوصول إليه في هذه النقطة أن منشأ الشبكات الاجتماعية عالمي ومردوه الاجتماعي محلي، حيث تقع هذه الجماعات على متصل العالمية والوطنية.
3- **تعبئة الرأي العام:** تلعب الجماعات المنتشرة في الشبكات الاجتماعية دوارا فعالا في تعبئة الرأي العام تجاه بعض القضايا السياسية، ويمكن صياغة بعض الوقائع – على سبيل المثال وليس الحصر – المثال الأول يتعلق الاحتجاجات الشعبية : فقد أضحت الشبكات الاجتماعية مجال الآن للاحتجاجات والتشجيع على الإضرابات، والدليل على ذلك أن هناك حركات اجتماعية عديدة مثل: حركة شباب البطالين التي استغلت الفضاء الافتراضي في التحريض على الإضراب والتحول من السياق الافتراضي إلي السياق الواقعي، المثال الثاني متمثل في الدعاية الانتخابية : فقد فتحت الشبكات الاجتماعية مجال جديد للدعايات الانتخابية وطرح البرامج الانتخابية وهذا ما نلاحظه في تغريدات الشباب الجزائري على التويتر في الانتخابات الرئاسية المبرمجة في أفريل 2014، والدليل على ذلك تكوين الجماعات عبر شبكة الفايسبوك على مستوي الصعيد المحلي لنشر ودعم برامج انتخابية حزبية أو لأفراد، وتجميع أكبر قدر ممكن من المستخدمين.

4- **ظهور المواطنة الافتراضية:** إن الشبكات الاجتماعية فتحت المجال أمام ممارسة قضايا المواطنة عبر الإنترنت والتي أطلق عليها المواطنة الافتراضية، فعند الحديث عن المواطنة لا يغيب البعد السياسي، إذ ارتبطت بحقوق وواجبات اجتماعية سياسية النشأة، وإذا كان الاستقرار على خاصية محددة الأبعاد والملامح الجزائرية أمر قد يبدو صعب في أفق الملمح الثقافي للمواطنة الافتراضية فقد يبدو أكثر قبولا على المستوى السياسي، وهناك أيضا قضايا يتم سحبها من الواقع إلى المجتمع الافتراضي الذي يعد بوابة جديدة لعبور وتحقيق المواطنة مع الأخذ في الاعتبار أن قضايا المواطنة الافتراضية عالمية النشأة ومحلية المردود.

5- **تفعيل دور المجتمع المدني:** تسهم الشبكات الاجتماعية وتناميها في السياقات العالمية ومردودها المحلي في زيادة تفعيل دور المجتمع المدني، حيث أن هناك العديد من منظمات المجتمع المدني منه على سبيل المثال الجمعيات المدنية والأحزاب السياسية قد بنت لها قواعد في المجتمع الافتراضي عبر الشبكات الاجتماعية، تروج من خلال هذه الشبكات للبرامج، الأفكار والسياسات التي تتبناها، وهناك بعض النقابات والجمعيات المحلية استغلت الشبكة في زيادة التواصل بين الشباب، ودعوة المستخدمين إلى برامجها ومشروعاتها.

المراجع

1. الكحكي عزة مصطفى (2012). تعرض الشباب العربي لبرامج تلفزيون الواقع بالفضائيات العربية وعلاقته بمستوى الهوية لديهم.

   www2.gsu.edu/~wwwaus/jmem/Al-Khaki2009.doc
2. آلان تورين (2011). **براديغما جديدة لفهم عالم اليوم**. ترجمة جورج سليمان، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
3. الصادق رابح (2015). **فضاءات رقمية: قراءات في المفاهيم والمقاربات والرهانات**. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع.
4. بعزيز إبراهيم (2011)."دور وسائل الاتصال الجديدة في إحداث التغيير السياسي في البلدان العربية." **المجلة العربية للعلوم السياسية** (بيروت)، العدد 31، صيف.
5. بن الحاج رحومة عادل (2010). " تنشئة الهويات الفردية عند الشباب عبر الفضائيات الاتصالية والمعلوماتية."، **إضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع** (بيروت)، العدد التاسع، شتاء.

6. تومي فضيلة وبوخبزة نبيلة (2015). " الهويات في مواجهة تقانة المجتمع الشبكي المخلعة، حسابات مستخدمي فايسبوك أنموذجا، دراسة استكشافية." **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية** (الجزائر) ، العدد 21، ديسمبر.

7. حسني عوض (2017). أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية المسؤولية المجتمعية لدى فئة الشباب، تجربة مجلس شبابي علار أنموذجا.http://www.qou.edu/arabic/conferences/socialResponsibilityConf/dr_housniAwad.pdf

8. رحومة علي محمد (2008). **علم الاجتماع الآلي: مقاربة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب**. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. (سلسلة عالم المعرفة رقم 347).

9. ساسي سفيان (2015). **تكوين الهوية الرقمية للشباب الجزائري–مقاربة سوسيولوجية لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي**. في: علي نزار هاشم (وآخرون): **مقاربات حول الهوية والجندر**. بيروت: فعاليات المؤتمر الرقمي الأول للإنسانيات والعلوم الاجتماعية، 17/02 أوت.

10. مبني نور الدين (2014). " الإعلام الجديد والهوية الثقافية والاجتماعية للشباب. الشبكات الاجتماعية أنموذجا"، **مجلة الكلمة (بيروت)**، العدد 83، السنة الحادية والعشرون، ربيع.

11. مركز هردو لدعم التعبير الرقمي (2018). **فيس بوك بلا سياسة، التحول الهيكلي في المجال العام الافتراضي**. القاهرة: المركز.

12. قريد سمير وجاهمي عبد العزيز (2019). "**إشكالية الإندماج الاجتماعي للشباب عبر شبكات التواصل الاجتماعي – مقاربة سوسيولوجية–**. في:" حران العربي (وآخرون): **استراتيجية تفعيل اندماج الشباب لتمكينهم اجتماعيا**. الجزائر: مطبعة مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة.

المحاضرة رقم 10: سوسيولوجية الرابط الاجتماعي في المجتمع الجزائري

نص المحاضرة

أولا: بنية الرابط الاجتماعي في المجتمع الجزائري ما قبل الكولونيالي

عند الحديث عن المجتمع الجزائري القديم يصعب الكلام عن الدولة بالمعنى الحديث لأن الجزائر قديما لم تكن موحدة وإنما تخضع لنظام قبلي يؤطر واقعه تصور عشائري، أين يعتمد الأفراد في سد حاجاتهم المادية واللامادية على الزراعة والرعي وعلى أسس التعاون الجماعي لوسائل الإنتاج، ولهذا لا يوجد هناك تفاضلا أو تمايزا بين أعضائه **(عدي الهواري، 23:1983)**.

يبدو أن المجتمع الجزائري في علاقته الاجتماعية والاقتصادية شبكة متداخلة من البنى القبلية التي تتحكم في النسق الاجتماعي والاقتصادي، وكنتيجة للروابط الاجتماعية المحددة بالعصبية، إذ يشعر الفرد بأنه جزء لا يتجزأ من جماعته العصبية، وبالتالي لا يسمح له باستغلال ذلك التضامن والشعور بالوحدة لصالحه الخاص، وإلا قوبل بالطرد خارج جماعته، وبهذا يصبح محروما من الحماية الاجتماعية والضمان الاقتصادي.

وبهذا النسيج القبلي أقيم نسيج سياسي يتماشى مع منطق الروابط الاجتماعية العامة والسائدة، فالقبيلة كمؤسسة اجتماعية، وكجهاز سياسي كان عليها، وعلى السلطة التركية، أن يدخلا في علاقات سياسية اقتصادية عسكرية يحددها في آخر الأمر، وظيفة وأهداف ودوافع كل طرف **(محمد الطيبي، 2009: 167)**.

كاستنتاج مبدئي يمكن القول بأن المجتمع الجزائري (ما قبل الكولونيالي) يقوم على تناقض متميز، حيث إنه في الوقت الذي توجد روابط اجتماعية أساسها القرابة والنسب في إطار المؤسسة الاجتماعية والسياسية الأساسية التي تمثلها القبيلة، توجد هناك صراعات تمتاز بالعنف، ذلك أن القوة السياسية للقبيلة الواحدة لا تتحقق إلا بإضعاف القبائل الأخرى سياسيا، ومن ثم إضعافها اقتصاديا وعسكريا **(قريد سمير، 2018: 144)**.

ثانيا: سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي للرابط الاجتماعي أثناء فترة الاحتلال

يعتبر التفكيك الذي حصل للبنى والهياكل الاجتماعية الأهلية في المجتمع الجزائري من خلال الاحتلال الفرنسي أحد العوامل التي تفسر انتشار العنف السياسي في الفترة الراهنة، لقد استطاعت النزعة الاستيطانية الاستعمارية أن تحدث انقساما بين المجتمع البدوي الذي اعتبرته خصمها الأول، حيث خاضت

معه صراعا عنيفا، وبين المجتمع المستقر ولذلك عملت مختلف الهياكل الاستعمارية على تعميق أيديولوجيا الانقسام بين البربر والعرب، وبين المستقرين والقبائل البدوية وشبه البدوية **(محمد نجيب بوطالب، 2009: 102-103)**.

وانظرا للصعوبات التي واجهت الاحتلال منذ البداية وحاجياته الاقتصادية وخصوصا في الفلاحة، عرفت سلطاته أنها مطالبة بالقضاء على التنظيم القبلي وتعويضه بشبكة إدارية ذات رقابة صارمة، وهكذا اعتبرت القبيلة الجزائرية في حالة احتضار منذ العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر **(محمد نجيب بوطالب، 2009: 103)**.

ولأن الاحتلال أدرك بسرعة المدلول السياسي للقبيلة، فقد عمل على تفتيت القبائل من خلال تفكيك نسيجها الاقتصادي التقليدي، واستبدال المنظومة القيمية والعلائقية في الريف الجزائري "فإجراءات التدمير من أجل البناء لم تفض إلا تهميش المزارعين الريفيين وخلق فئات جديدة، "فلاحون دون أرض "و"بروليتاريا" المدن **(محمد نجيب بوطالب، 2009: 103)**.

لقد حرر تفكك القبائل في الجزائر مثلا، قوة العمل من الروابط الجماعية من دون أن يشكل هذا على المستويين الاجتماعي والتاريخي استجابة لعلاقة اجتماعية جديدة **(عدي الهواري، 1983: 134)**.

لقد استمرت سيرورة تفكيك النسيج الاجتماعي لينجم عنها ظهور –ولأول مرة في تاريخ الجزائر– الفرد L'individu الذي أضحى كائنا مستلبا من الناحية الاقتصادية ومجردا من الطابع الاجتماعي على المستوى الاجتماعي والثقافي، يعيش حالة أنوميا وإثر تفكك المجتمع التقليدي، تحجرت البنى الاجتماعية وتأبدت من خلاله تقليدية متطرفة من إحدى خصائصها القدرية والتكرار **(عدي الهواري، 1983: 135)**.

وعلى ضوء ما تم عرضه سابقا يمكن القول بأنه في أثناء فترة الاحتلال لم يعد المجتمع الجزائري ذلك الكيان الاجتماعي الموحد داخل التنظيم القبلي، وإنما أدت عمليات الاجتثاث الاجتماعي والتفقير إلى تفكيكات عميقة في بنية الرابط الاجتماعي في المجتمع الجزائري، وكان من أبرز إفرازات ذلك ظهور العامل الزراعي الأجير كقوة عمل تحكمها إكراهات رأسمال زراعي.

رابعا: الأخوة كرابط اجتماعي في الثورة التحريرية

إن فكرة الثورة في مفهومها السوسيولوجي العام تعني التغيير الجذري والشامل لجميع معطيات واقع معين بحثا عن معطيات وشروط جديدة تنظم علاقات الواقع الجديد، وتختلف بشكل كلي من حيث الخلفيات والإفرازات التي يطرحها الواقع القديم، إنها التعبير عن حركة تغيير جذري مرتبط دائما بكل ما لديه علاقة بالآخر الذي يرمز له بالطرف الأجنبي.

من هنا أصبحت المرجعية الثورية المرتبطة بمرحلة تاريخية محددة من تاريخ الجزائر تلعب دورا أساسيا في بناء عناصر الثقافة السياسية للأفراد، وتتخذ من تلك المرجعية الهدف لتحقيق هويتها وانتمائها الوطني.

سوسيولوجيا ستكون لهذه المرجعية أثار سلبية على بنية المجتمع الجزائري، لأنها ستخلق- بعد الاستقلال- انقسامات وتمايزات بين عدة فئات من المواطنين، " فئة أعطت لنفسها حق المواطن وامتيازاته من الدرجة الأولى بحجة أنها هي من قادت الثورة وشاركت فيها وحررت البلاد، وفئة مواطنين من الدرجة الثانية ممن لم تسنح لهم فرصة المشاركة في الثورة، أو شاركوا فيها ولم يُعترف لهم بذلك" **(مباركية منير، 2013: 200- 201)**.

إن الهدف الأساسي للمسألة الوطنية كأسلوب تنظيمي فرضته ظروف المرحلة الاستعمارية انطلاقا من محور الأرض(L'espace territorial) مركز الصراع (بين الأهالي والأجانب) يتمثل في التجنيد المكثف لغالبية الفئات الاجتماعية من أجل التفاعل مع معطيات واقع اجتماعي جديد.

في السياق ذاته يؤكد "**محمد حربي**" أن الوطنية أي التعلق العاطفي بأرض الأجداد لا القومية المتمثلة في الإرادة الواعية لتكوين أمة، هي التي ألهمت الجزائريين الكفاح المسلح ضد الاحتلال الفرنسي **(محمد حربي، 2007: 79)**.

ومن جهته يؤكد "**مصطفى الأشرف**" أن الدافع الأساسي للكفاح المسلح هو شعور الإنسان الجزائري بأن أفاق المستقبل مسدودة، ولذلك شعر الجزائريون منذ 1830 بأنهم فقدوا (بسبب الاستعمار) أمورا لا يمكن الاستغناء عنها، ألا وهي الأرض، والحرية، والصحة البدنية، والمؤسسات القومية، واللسان القومي **(مصطفى الأشرف، 1983: 100-101)**.

وابتداء من سنة 1954 نظم المجتمع الجزائري بأكمله أشكالا خاصة من التضامن برزت في المجتمع، وذلك حسب متطلبات معركة التحرير الشرسة، فالجزائري الذي كانت حرية تنقله وحركته مقيدة، كان باستطاعته المقاومة والكفاح بفضل أشكال من التضامن الموجودة ضمن العائلة، والعمل، والحي، والسوق، والمقهى، وكان هدف هذه الأوساط هو النضال والحرية **(بوتفنوشت مصطفى، 1986: 01)**.

إن الظروف التاريخية والاجتماعية التي فرضتها الثورة التحريرية هي التي أفرزت من الناحية السوسيولوجية ما يسمى بالشعبوية الثورية القائمة على مبدأ التوحد ضمن كتلة موحدة لمقاومة خطر خارجي، يرمز لها من الناحية الثقافية الشعبية بمفهوم (الخاوة) كشكل من أشكال الرابط الاجتماعي، إنه التعبير الذي يجسد حالة من الشعور بالثقة والارتباط الأخوي ما بين الأفراد مع تجاوز كافة الاختلافات الجهوية أو الاجتماعية أو الحزبية من أجل تحقيق غاية مشتركة هي التحرر الوطني **(قريد سمير، 2018: 191)**.

يبدو أن الحرب التحريرية القائمة على أولوية مقاومة الاضطهاد الاستعماري، وتأكيد الهوية الوطنية، ولم شمل المجتمع الجزائري حول مطلب الحرية والمواطنة، اتخذت من العنف بتعبير " **فرانز فانون Franz fanon**" في شكله الكفاحي ضد المستعمر وظيفة هامة، فهو السبيل الوحيد لتوحيد جهود الأمة، وتصبح غير منقسمة، فالكفاح المسلح يعبئ الشعب، ويعمل على انبثاق أمة جديدة وخلق إنسان جديد، وهكذا إذا أشهر الإنسان سلاحه لتحطيم النظام الاستعماري، وكافة أشكال السيطرة والتبعية يصبح إنسانا بقدر ما يحقق من عمل لتحرير ذاته" **(نور الدين زمام، 2008: 133-134)**

المراجع

1- الطيبي محمد (2009). **الجزائر عشية الغزو الاحتلالي: دراسة في الذهنيات والبنيات والمآلات**. الجزائر: دار ابن النديم للنشر والتوزيع.

2- بوطالب محمد نجيب (2009). **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي**. ط2 بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية (سلسلة أطروحات الدكتوراه 41).

3- الأشرف مصطفى (2007). **الجزائر: الأمة والمجتمع**. ترجمة حنفي بن عيسى. الجزائر: دار القصبة للنشر.

4- بوتفنوشت مصطفى (1986). << مرحل تكون البنية الاجتماعية في الجزائر.>> **المجلة السنوية لمعهد علم الاجتماع** (الجزائر): العدد 3، أفريل.

5- حربي محمد (2007). **الثورة الجزائرية سنوات المخاض**. ترجمة نجيب عياد وصالح المثلوثي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

6- زمام نور الدين (2008).<< حول سوسيولوجية المثقف الجزائري.>> **إضافات** (المجلة العربية لعلم الاجتماع)، العدد الأول، شتاء.

7- عدي الهواري (1983). **الاستعمار الفرنسي في الجزائر: سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي (1830-1960)**. ترجمة جوزيف عبد الله. بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر التوزيع.

8- قريد سمير (2018). **المجتمع المدني الجزائري وإشكالية تأسيس ثقافة المواطنة**. عمان: دار الأيام للطباعة والنشر والتوزيع.

9- مباركية منير (2013) **مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية المعاصرة، وحالة المواطنة في الجزائر**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.